المحاضرة 6

مقاومة الأمير عبد المالك الجزائري في المغرب 1914-1924.

يُعد هذا النموذج رقم 2 من المقاومات الشعبية في المغرب العربي، مع اختلاف الزمان والمكان لكن العدو واحد، فرنسا. فالأمير عبد المالك هو أحد أبناء الأمير عبد القادر، عاش في دمشق، تولى عدة مناصب في الدولة العثمانية إلى أن وصل إلى رتبة قائد الجيش السلطاني –ياورا-. في العاصمة العثمانية.

كان يتطلع منذ أمد بعيد في مواجهة الأعداء الذين احتلوا بلاده وأسروا والده ثم نفوه، كما كان يتطلع دوما إلى الاقتداء باخوته الذين قارعوا العدو الفرنسي على غرار الأمير محي الدين الذي قاد الثورة ضد الفرنسيين سنة 1871 انطلاقا من تونس، وبالبتنسيق مع القائد بن ناصر بن شهرة.

بعدما تشكلت لديه قناعة في حمل لواء الجهاد والكفاح المسلح غادر قصر يلدز ليلتحق بمقاومة الفرنسيين في المغرب، حيث سلك طريق البحر متخفيا في هيئة تاجر جوال، مرورا بمصر، الصحراء الليبية ثم تونس، ثم المغرب الأقصى. أين التحق مع مطلع القرن 2. بمقاومة الشيخ بوعمامة. بعد استشهاده في سنة 1904 التحق بالمخزن السلطاني فحارب في صفوفه ضد الأعداء المتربصين بالمغرب، من الداخل والخارج، وأثناء انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 تم تعيين الأمير عبد المالك قائد للشرطة الدولية في مدينة طنجة، لما له من امكانيات تؤهله لشغل هذا المنصب.

استغل الأمير عبد المالك منصبه استغلالا جيدا، من خلال التعرف على الوضع العام في المغرب، التعرف على قادة القبائل المغربية وزعمائها، ربط صلات مع الجزائريين المهاجرين في المغرب، كما تقرب من أبناء عمومته خصوصا عائلة علي أبو طالب المعسكري...الخ، في الوقت الذي ربط صلات متينة مع أعداء فرنسا في المغرب، ألمانيا، الدولة العثمانية، بريطانيا، اسبانيا...الخ. ناهيك عن التقرب من الأمير خالد الذي كان مُجندا في الجيش الفرنسي بالمغرب.

أهلته هذه المعطيات إلى جمع أكبر قدر من المعلومات ومن وضع الترتيبات اللازمة لاعلان الثورة ضد فرنسا في المغرب، وظل ينتظر الفرصة المناسبة، إلى أن لاحت بوادر الحرب العالمية الأولى سنة 1914. يمكن تتبع مسار ثورته عبر عدة مراحل.

مراحلها: المرحلة الأولى 1914-1918:

راهن الأمير عبد المالك خلال هذه المرحلة على عدة عناصر:

الدعم العثماني، الألماني./ دعم عمه الأمير خالد/ دعم المهاجرين الجزائريين بالمغرب/ دعم القبائل المغربية المناهضة للاستعمار الفرنسي/ دعم بعض العائلات المغربية كعائلة الخطابي، عائلة الاخوة البلغيثي...الخ. ناهيك عن مراهنته على خبرته العسكرية.

قاد خلال هذه المرحلة عدة معارك ضد الجيش الفرنسي، من بينها: معركة الدار البيضاء، معركة سوق الحد...الخ كبّد من خلالها الجيش الفرنسي خسائر بشرية ومادية فادحة، وفي ظل هذه الأثناء كانت هناك ثورات أخرى ضد الجيش الفرنسي كثورة الأوراس سنة 1916، التي ساهمت في ارباك العدو الفرنسي وتشير بعض المرجعيات إلى ذلك التنسيق الذي كان قائما بين هذه الثورة وثورة الأمير عبد المالك في المغرب.

إن انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، يكون قد أعطى دفع قوي للفرنسيين بالتفرغ أكثر للقضاء على مقاومة الأمير عبد المالك، خاصة في ظل انهزام الدولة العثمانية وألمانيا في الحرب، فراهن الجنرال "ليوتي" على عدة معطيات منها:

-تفتيت أتباع وأنصار الأمير عبد المالك باتباع سياسة فرق تسد.

-ضرب الأمير ببعض زعماء القبائل وزرع بذور الفتنة، كما وقع بين عائلة الخطابي وعبد المالك.

-المراهنة على القوة العسكرية من حيث: العدة، العتاد، الوسائل الحربية.

-المرحلة الثانية: 1920-1924:

هذه المستجدات فرضت على الأمير عبد المالك فتح باب التفاوض مع الفرنسيين للاتفاق حول شروط مُعينة، لكنها لم تفض إلى نتيجة تذكر. وهذا ما كان يطمح إليه الجانب الفرنسي الذي كان يلعب على عامل الزمن في القضاء على المقاومة. مقاومة تجددت بكل قوة وعزيمة لقّن من خلالها ا لأمير عبد المالك دروسا في الكفاح والنضال للجنرال "ليوتي" الذي لم تسعه الحيلة سوى زرع بذور الفتنة بين الأمير والخطابي، هذا الأخير الذي بات ينظر لعبد المالك بأنه خصم ومنافس قوي له، وللقضاء عليه تحالف مع عدوه –عدو العدو صديق- ولم تفلح الوساطات في رأب الصدع بين الطرفين، في الوقت الذي تحالف فيه عبد المالك مع الإسبان، تحالف ثنائي أفضى إلى مجابهة عسكرية بين قوات الخطابي وعبد المالك في معركة عزيب ميضار سنة 1924؛ أين أصيب عبد المالك برصاصة الغدر والخيانة فسقط شهيدا

رحمه الله. وانفردت فرنسا اسبانيا معا!!!! للقضاء على الخطابي في ظرف زمني قصي جدا لم يتعد سنة 1926.